**المحاضرة السابعة: الفيلسوف ابن رشد**

**أولا: من هو الفيلسوف ابن رشد؟**

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي " الحفيد " ولد في قرطبة بالأندلس عام 520هـ 1126م [،](https://www.marefa.org/10_%D8%AF%D9%8A%D8%B3%D9%85%D8%A8%D8%B1) من أسرة عرفت بالعلم والجاه. فجده [أبو الوليد محمد](https://www.marefa.org/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%AF_%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%B1%D8%B4%D8%AF) كان كبير قضاة قرطبة تحت حكم [المرابطين](https://www.marefa.org/%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7%D9%88%D9%86)، وشغل والده ذات المنصب حتى مجيء [الموحدين](https://www.marefa.org/%D9%85%D9%88%D8%AD%D8%AF%D9%88%D9%86) عام 1126، ويعد ابن رشد من أبرز [الفلاسفة](https://www.marefa.org/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9) [المسلمين](https://www.marefa.org/%D8%B9%D8%B1%D8%A8) دافع عن الفلسفة وصحح علماء وفلاسفة سابقين له [كابن سينا](https://www.marefa.org/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D8%B3%D9%8A%D9%86%D8%A7) [والفارابي](https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D9%8A) في فهم بعض نظريات [أفلاطون](https://www.marefa.org/%D8%A3%D9%81%D9%84%D8%A7%D8%B7%D9%88%D9%86) [وارسطو](https://www.marefa.org/%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D8%B7%D9%88). درس الكلام والفقه والشعر [والطب](https://www.marefa.org/%D8%B7%D8%A8) [والرياضيات](https://www.marefa.org/%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%B6%D9%8A%D8%A7%D8%AA) [والفلك](https://www.marefa.org/%D9%81%D9%84%D9%83) والفلسفة، قدّمه [ابن طفيل](https://www.marefa.org/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D8%B7%D9%81%D9%8A%D9%84) لأبي يعقوب خليفة [الموحدين](https://www.marefa.org/%D9%85%D9%88%D8%AD%D8%AF%D9%88%D9%86) عام [1182م](https://www.marefa.org/1182) فعينه طبيبا له ثم قاضيا في قرطبة.

تولّى ابن رشد منصب القضاء في [اشبيلية](https://www.marefa.org/%D8%A7%D8%B4%D8%A8%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9)، وأقبل على تفسير آثار أرسطو، تلبية لرغبة الخليفة [الموحدي](https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%AD%D8%AF%D9%8A) [أبي يعقوب يوسف](https://www.marefa.org/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81_%D9%8A%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B1)، وكان قد دخل في خدمته بواسطة الفيلسوف [ابن الطفيل](https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%81%D9%8A%D9%84&action=edit&redlink=1)، ثم عاد إلى [قرطبة](https://www.marefa.org/%D9%82%D8%B1%D8%B7%D8%A8%D8%A9) حيث تولى منصب قاضي القضاة، وبعد ذلك بنحو عشر سنوات أُلحق بالبلاط المراكشي كطبيب الخليفة الخاص.

لكن عزوف الخليفة الجديد [أبو يوسف يعقوب المنصور](https://www.marefa.org/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81_%D9%8A%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B1)  عن الفلاسفة، ناهيك عن دسائس الأعداء والحاقدين، جعل المنصور ينكب ابن رشد، قاضي القضاة وطبيبه الخاص، ويتهمه مع ثلة من مبغضيه بالكفر والضلال ثم يبعده إلى( [أليسانه](https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%A3%D9%84%D9%8A%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%87&action=edit&redlink=1) (بلدة صغيرة بجانب قرطبة أغلبها من اليهود، ولا يتورع عن حرق جميع مؤلفاته الفلسفية، وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم جملة، ما عدا الطب، والفلك، والحساب. ولكن بعد فترة يعود الخليفة ويرضى عن ابن رشد ويلحقه ببلاطه في مراكش إلى أن توفي عام 595 ه  [1198م](https://www.marefa.org/1198) ودفن بمراكش ثم نقل جثمانه إلى قرطبة حيث دفن إلى جوار أجداده.

**ثانيا: مؤلفات ابن رشد**

تنقسم مؤلفات ابن رشد إلى قسمين رئيسين، وهما: شروحاته لكتب القدماء، خاصةً أرسطو وأفلاطون وبعض فلاسفة الإسلام، أما القسم الثاني فيتضمن الكتب التي كانت من تأليفه.

|  |
| --- |
| من شروحاته وتلاخيصه [لارسطو](https://www.marefa.org/%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D8%B7%D9%88) :[تلخيص وشرح كتاب ما بعد الطبيعة](https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%AA%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%B5_%D9%88%D8%B4%D8%B1%D8%AD_%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D9%85%D8%A7_%D8%A8%D8%B9%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%B9%D8%A9&action=edit&redlink=1)، [تلخيص وشرح كتاب البرهان او الأورغانون](https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%AA%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%B5_%D9%88%D8%B4%D8%B1%D8%AD_%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%87%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D8%BA%D9%86%D9%88%D9%86&action=edit&redlink=1)، [تلخيص كتاب الاخلاق](https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%AA%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%B5_%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%82&action=edit&redlink=1)، [شرح كتاب النفس](https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%B4%D8%B1%D8%AD_%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3&action=edit&redlink=1)، [شرح كتاب القياس](https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D8%B4%D8%B1%D8%AD_%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%B3&action=edit&redlink=1).  وله كتب أشهرها: [كتاب الكشف عن مناهج الأدلة](https://www.marefa.org/w/index.php?title=%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%87%D8%AC_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AF%D9%84%D8%A9&action=edit&redlink=1) في عقائد الملة، [كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة من الاتصال](http://ar.wikisource.org/wiki/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D8%B1%D8%B4%D8%AF_-_%D9%81%D8%B5%D9%84_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84) ، كتاب [تهافت التهافت](https://www.marefa.org/%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%81%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%81%D8%AA)، كتاب الكليات، كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد.  **ثالثا: تهافت التهافت من منظور ابن رشد**  لقد كان هدف ابن رشد من تأيفه لكتاب: ( تهافت التهافت ) هو إعادة الاعتبار إلى الفلسفة، وبهذا يكون قد وضع ابن رشد كتابه، وكتاب الغزالي في إطار الصراع الذي عرفه الفكر الإسلامي بين علم الكلام الأشعري والفلسفة العقلانية. ويقسم ابن رشد كتابه إلى قسمين: الإلهيات والطبيعيات، وذلك على غرار القسمة التي اتبعها الغزالي في كتابه: (تهافت الفلاسفة) وهو في القسمين يتناول المسائل العشرين التي تناولها أبو حامد الغزالي من مسألة القدم والحدوث إلى مسألة الخلود، ثم صدور الكثرة عن الواحد، والاستدلال على وجود صانع العالم وفي أن الله واحد ونفي الكثرة في ذاته، ثم الحديث عن الصفات: هل هي عين الذات أم غيرها؟ ومسألة الوحدانية ثم الوجود والماهية في الذات الإلهية، والتنزيه والتجسيم وما إلى ذلك من أمور كانت تشغل علم الكلام في ذلك الحين. وبعد ذلك يتناول ابن رشد ثلاث مسائل يوردها تحت عنوان في العلم الإلهي.. العلم بالكليات: هل يعقل الأول ذاته؟ ثم العلم بالجزئيات، ثم تأتي مسألة طاعة السماء، والغرض المحرك للسماء، واللوح المحفوظ، ونفوس السماوات، قبل أن ينتقل الفيلسوف إلى مسائل يسميها الطبيعيات، فيبحث في السببية، ثم روحانية النفس، ومسألة الخلود، ومسألة فناء النفوس البشرية، وأخيرا البعث للنفوس أم لها وللأجساد؟  من الواضح هنا أن هذا الترتيب للمسائل إنما سار فيه ابن رشد تبعا لترتيب الغزالي في كتابه، ذلك أنه أراد أن يرد عليه ويفند كتاباته صفحة صفحة ومسألة مسألة، ليصل إلى استنتاج أساسي وحاسم بالنسبة إليه، ومفاده أن دين الفلاسفة إنما يقوم أصلا على الإيمان بوجود الله وعبادته.  وأن مذهب السببية الذي ينقضه أبو حامد وينفيه، إنما هو المذهب الذي يوصل إلى معرفة الله وخلقه معرفة واقعية، أما بالنسبة إلى الكثير من المسائل المتعلقة بتصورات الناس للدين، فيجب برأي ابن رشد تفسيرها تفسيرا روحيا لا عقليا لأن الغاية منها، أصلا، حث الإنسان على إتباع الفضيلة.  **رابعا: العلاقة بين الدين والفلسفة عند ابن رشد**  عالج ابن رشد مشكلة العلاقة بين الفلسفة والدين، أو كما يطلق عليه بوجه عام في الفلسفة الإسلامية (مشكلة التوفيق بين العقل والنقل) بعمق ودقة في ثلاثة مؤلفات هي: (فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة من الاتصال) و (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة) و (تهافت التهافت).  كان على ابن رشد وهو في سبيل تحديد العلاقة بين الدين والفلسفة أن يبدأ بتحديد طبيعة هذين التعبيرين، فالفلسفة عنده هي: (النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها. أما الدين فهو مجموعة من الحقائق أوحى الله بها للأنبياء، وهذه الحقائق تقدم للإنسانية ما يمكن أن تعرفه عن أمور الشريعة (مثل الثواب والعقاب في الحياة الأخرى)، كما تقدم له المعرفة العملية، أي معرفة ما ينبغي عمله لتحقيق السعادة، وما ينبغي الامتناع عنه لتجنب عقاب الآخرة. إذن تتفق الفلسفة والدين من حيث الموضوع، فكلاهما يبحث في الله والكون والحياة، ولكنهما يختلفان من حيث منهج المعرفة.  ولقد حاول ابن رشد في بداية تناوله المشكلة في فصل المقال أن يثبت أن الشريعة (أو الدين) توجب التفلسف، وكان هذا أول مبدأ من المبادئ التي اعتمد عليها ابن رشد لحل هذه المشكلة، وأثبت ذلك لا بالبرهان العقلي، وإنما بذكر الآيات التي تدل على ذلك، فالدين الإسلامي يدعو إلى تأمل الكون، والقرآن مليءٌ بالآيات التي تدعو إلى التعقل والتفكر والحكمة؛ وكلمة حكمة المذكورة في القرآن ما هي إلا الفلسفة. يقول ابن رشد: ( أما أن الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل، وتطلب معرفتها به: فذلك بين في غير ما آية من كتاب الله تبارك وتعالى، مثل قوله سبحانه وتعالى: (فاعتبروا يا أولي الأبصار) (سورة الحشر 2)؛ وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي، أو العقلي والشرعي معاً.. ومثل قوله تعالى: (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء) (سورة الأعراف 185).  ولقد دعا الإسلام إلى التفلسف، لأن الفلسفة وسيلة الإنسان لمعرفة الله، ومن ينهى الناس عنها، فقد صدهم عن الباب الذي دعا الشرع الناس منه إلى معرفة الله. فأجزاء الفلسفة المختلفة من شأنها أن تنتهي بنا إلى معرفة الله، فكأن كل فروع الفلسفة في خدمة مبحث الألوهية، أو هي أدوات أو تمهيد لمعرفته، فالمنطق يساعدنا على البحث في الموجودات، أي على البحث في الفلسفة الطبيعية؛ وهذه بدورها تساعدنا على معرفة الله، فمن لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانع.  وقد اعتمد ابن رشد في توفيقه بين الفلسفة والدين على أن الفلسفة واجبة على الجميع، ولكنها ليست ضرورية للجميع، بل لمن استطاع الاشتغال بها، ويقوم هذا المبدأ على تمييز ابن رشد لثلاث فئات بين الناس، وأساس هذا التمييز هو القدرة على الإدراك والتعقل، فهناك من يستطيع إدراك الأدلة البرهانية العقلية، وهناك من لا يستطيع إدراكها، وإنما يدرك الأقل مرتبة، وهي الأدلة الجدلية، وهناك أخيراً عامة الناس الذين لا يستطيعون إلا أن يدركوا الأدلة الخطابية وحدها.  والبرهانيون وحدهم هم الذين يستطيعون إدراك المعنى الباطني للنصوص الدينية التي لها باطن وظاهر، وعليهم ألا يكشفوا عن نتائج استدلالاتهم إلا لأهل البرهان، أما علماء الكلام فيمثلون عند ابن رشد الفئة التي تتوسط فئة الفلاسفة أصحاب الاستدلالات البرهانية؛ والعامة أي عامة الناس أصحاب الاستدلالات الخطابية، إذن هم أصحاب الاستدلالات الجدلية، وبينما نجد العامة يأخذون النصوص الدينية بمعناها الحرفي، ويقبلون بلا جدال كل الرموز الخيالية الموجودة فيها دون أن يلحظوا أي تناقض بينها وبين العقل: نجد أن علماء الكلام في استطاعتهم ملاحظة هذه التناقضات إلا أنهم عاجزون عن التوصل وحتى عن إدراك الحل البرهاني، إن علماء الكلام لا يستطيعون إلا التفكير الجدلي اعتماداً على تصورات أكثر نقاءً من الاستدلالات الخطابية؛ ولكنها دون البراهين؛ وهذا هو سبب عجزهم عن التوصل إلا إلى حلول مضطربة ومتنوعة ومختلفة ، أي أن علماء الكلام لا يتفقون فيما بينهم، نظراً لعدم اعتمادهم على مقياس ثابت ألا وهو البرهان. يقول ابن رشد في (فصل المقال): (إن طباع الناس متفاضلة في التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقوال الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية). |